Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



وفى الأبيات كثرة واضحة من الصور والرسوم، وفيها كثير من الطرافة والدقة، لا من حيث إنه ابتدعها ابتداعاً، ولكن من حيث طريقة عرضه وإخراجه لها، ومع أن القافية صعبة لا يمسح التكلف عليها. وأكثر شعر طلائع يجرى على هذه الشاكلة من السهولة.

وإذا مضينا فى قراءة هذه القصيدة وجدنا طلائع يتلوم نور الدين على تباطئه فى حرب الصليبيين، ويزعم أنه يمهلهم ويمالئهم، ويعقد المهادنات والمعاهدات بينه وبينهم، ويدعوه إلى نقض ما أبرم، فهم لا يرقبون فى المسلمين إلاً ولا ذمة، يقول:

فقولوا لنورِ الدينِ ليس لجائف الـ ... جراحات إلا الكيُّ فى الطبِّ والبَطُّ
فدَعْ عنك مَيلاً للفرنج وهُدنةً ... بها أبداً يُخْطى سواهمْ ولم يخْطوا
تأمَّلْ فكمْ شَرْطٌ شَرطْتَ عَلَيْهمُ ... قديماً وكم غدر به نُقِضَ الشَّرْطُ
وشَمِّر فإنا قد أعَنَّا بكُلّ ما ... سَألْتَ وجَهَّزْنا الجيوشَ ولن يُبطُوا

وهو يُنهى الأبيات بأنه أرسل الجيوش إلى الصليبيين ليأخذوا من أطرافهم الجنوبية، وعسى نورُ الدين يأخذ من أطرافهم الشمالية والشرقية. ويقول العينى: أرسل طلائع إلى الشام سنة ٥٥٣هـ جيشاً كبيراً بقيادة ضرغام، فنكَّل بهم تنكيلاً، وسجل ذلك فى إحدى قصائده، فقال:

نَذَرْنا مسيرَ الجيش فى صَفَرٍ فما ... مضى نصفُه حتى انثَنى وَهْوَ غانمُ
خُيولٌ إذا ما فارقَتْ مصرَ تبتغى ... عِداً فلها النصرُ المبينُ ملازمُ
يسيرُ بها ضِرْغامُ فى كُلِّ مَأْزَقٍ ... وما يَصحَبُ الضرغامَ إلا ضراغمُ

ولا شك فى أن مصر نالت مفاخِرَ وأمجاداً عظيمة فى عهد هذا الوزير الذى كانت خيوله تصهل وتلوِّح أعرافها دائماً فى ساحات الحرب والقتال بالشام وبفلسطين. وكانت أساطيله ما تزال تجوب سواحل الشام وتفتك بسفن